مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 04 سبتمبر (2021) - ص 21- 33

أصالة البحث اللساني العربي في التأسيس المفاهيمي للمصطلحات

Authenticity of Arabic linguistic research in the conceptual establishment of terms

عبد المطلب زيوش[1] خالد بن عمير[2]
ziwacheyyacine@gmail.com Dualab@hotmail.com
مخبر اللغة وتحليل الخطاب
جامعة جيجل/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/25 تاريخ القبول: 2021/08/17 تاريخ النشر: 2021/09/25

ملخص البحث

إن قيمة الدراسة العلمية للغة البشرية لا يمكن أن تحقق النجاح والاستمرار، إلا إذا نحت في سبيل تتحكم من خلاله في شيئين: أحدهما المفاهيم العلمية، والشيء الثاني هو مقابلة هذه المفاهيم بمصطلحات موافقة. ولقد عملت الدراسات اللسانية منذ ظهورها على إقامة هذه المواءمة لتعبر بها عن أصالتها في مجال دراسة اللغة، لذا تروم هذه الدراسة الوقوف على ما حققته اللسانيات التراثية من جهد للتعبير عن المفاهيم بدقة علمية، والدارس فعلا لهذا الإرث اللغوي يدرك أن القدامى استطاعوا أن يعبروا عن المفاهيم بصورة تعكس أصالة بحثهم .

الكلمات المفتاحية : التراث، اللسانيات العربية، المفاهيم، الأصالة ، مستويات اللغة

ABSTRACT:

There is no doubt that every nation, If it wants to study its language for promoting it begans from the heritage which considered as a source of new ideas and theories.so that it is obligatory for arabs to back into their glorify linguistic heritage and reads it from new as it makes enough concepts which express surely the originality .

Key words: the heritage ,arabs linguistics, concepts, originality, language levels .

[1]- المؤلف المرسل: زيوش عبد المطلب.

1. مقدمة:

مما لا اختلاف فيه بين الدارسين والباحثين- خاصة المختصين- أن أي أمة من الأمم تحتفي بمقوماتها الحضارية، وتعمل جاهدة بكل الوسائل للحفاظ عليها وتخليدها فيالوجود، ومن ثمة تضع الإطار الحضاري الذي يميزها بخصائص مختلفة تستمد بالأساس من تلك المقومات والأسس والروافد؛ فتنال بذلك المكانة اللائقة بها بين سائر أمم الأرض، ولن تنال هذه المكانة إلا إذا ارتكزت على عناصر الهوية بخصائصها النفسية والاجتماعية وفق ما تقتضيه تلك العناصر من شروط الانتماء الحضاري الخاص بها، وهذا ما يشكل الموروث المادي والمعنوي المتراكم عبر العصور، وهو ما يطلق عليه اسم التراث الذي يشكل بحق همزة وصل بين الماضي والحاضر، ونحن نعني به التراث الذي يعبر عن تصور الدارسين آنذاك، ووعيهم بمفاهيمه، وتحليلهم لمكنوناته إلى أن أدركوا الغاية في ذلك، هذا ويظل التراث مرجعا للدارسين على مر العصور، لاستنباط الأفكار الجديدة ، نظرا لأصالته وطبيعته التي تقبل التجدد باستمرار إذا وجدت من يحسن إعادة بعثها وإحيائها بروح علمية منطقية، لهذا ومن أجله نتساءل : إلى أي مدى استطاعت علوم اللسان العربي تجسيد البعد المفاهيمي في مضامينها ؟ هل يمكن اعتبار هذه الجهود أصيلة ؟

الفرضيات :

- لقد استطاعت اللسانيات التراثية العربية التعبير عن مفاهيمها بمستوى عال من الدقة العلمية .

- التراث اللساني العربي خال من رواسب التأثير الأجنبي .

الأهداف :

تروم هذه الورقة البحثية الوقوف على مدى ما وصلت إليه اللسانيات التراثية العربية من جهود معتبرة للتعبير عن المفاهيم العلمية في مجال دراسة اللغة العربية، وذلك بالنظر في الاصطلاحات العلمية التي تم توظيفها لذلك .

المنهجية :

تم اتباع منهجية واضحة تتدرج من الجزء إلى الكل، ومن العام إلى الخاص لبلوغ الأهداف المرجوة باعتماد المنهج الوصفي التحليلي .

2.التراث : ماهيته وأجزاؤه المكونة له

مما تمتاز به اللغة العربية أنها اشتقاقية بامتياز، إذ يمكن الانطلاق من جذر أي كلمة للوقوف على معناها المتواضع عليه، ومن أبرز هذه الكلمات كلمة تراث؛ فإلام تعود؟

1.2.ماهيته :

التراث ذلك الموروث المادي والمعنوي مما خلفه السلف، وهو ذو أهمية بالغة في حياة الفرد والجماعة، وتتجلى أهميته في جانبيه المادي والمعنوي؛ أما الأول فلا يعنينا في هذا المقام، لأنه يحوي في معناه الأمور والأشياء الملموسة على اختلاف أنواعها وأشكالها، بدءا بالمال والكنوز المختلفة، مرورا بفن العمارة وطرق التحضر والتمدن، ووصولا إلى الآثار والحفريات...الخ، وأكثر مايهمنا من هذا التراث ذلك الموروث الفكري الذي عكف على تأليفه وخط معالمه أسلافنا عبر مراحل زمنية متفاوتة[1]، خاصة " علوم اللسان العربي " على اختلاف أنواعها ومستوياتها كونها جزءا لا يتجزأ من تراثنا الفكري العربي والإسلامي، بل ويعد مفخرة للعقل العربي المتأثر بتعاليم الدين الحنيف الذي حث على العلم والتعلم في شتى مناحي الحياة ، ما لم يكن المطلوب متعارضا مع تعاليم الدين .

2.2 مكونات التراث اللساني العربي :

علوم اللسان متنوعة ومتعددة، وقد جمعت في بيتين اثنين[2] :

نحووصرف عروض ثم قافية وبعدها لــغة قــرض وإنشاء

خط بيان معان مع محاضرة والاشتقاق بها الآداب أسماء

وظاهر هذا المعنى أنه يجمع بين اللغة وآدابها مثلما هو حاصل في وقتنا الحاضر؛ لذا فعلوم اللسان كثيرة ومتنوعة لهذا ترد بصيغة الجمع، ولقد عقد لها ابن خلدون بابا في الجزء الثاني من مقدمته سماه ب : " **في علوم اللسان العربي** " قائلا : " أركانه أربعة : وهي اللغة والنحو والبيان والأدب "[3]؛ وهذا التصنيف لا يفرق بين اللغة والأدب، كما أنه يعتبر هذه العلوم من الوسائل لا الغايات، فهي عنده وسيلة لفهم الشريعة والوقوف على مقاصدها، ومن ذلك قوله : " فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد الشريعة "[4]، ثم يستدرك ابن خلدون في بيان أفضلية هذه العلوم على بعضها، فيرى أن النحو هو المقدم .

ولا شك أن الخوض في تصنيف علوم اللسان تصنيفا إفراديا، والبحث في وظائفه مع بقية العلوم التي تتدخل عرضيا في بناء النسق المفاهيمي خاصة في التراث العربي الذي لا يسع المجال لذكره، غير أننا سنكتفي بما توصلت إليه اللسانيات حديثا من خلال التراث ، ولا يفوتنا أن نذكر أن تراثنا العربي قد مر بمراحل متميزة تخللتها بحوث بذلت خلالها جهود معتبرة عبر مراحل، وهي كالآتي[5] :

- مرحلة الدراسة التحليلية الشاملة للمادة اللغوية العربية .
- مرحلة الدراسة النحوية المتخصصة .
- مرحلة تأكيد الوظيفة الإبلاغية للغة عن طريق ربط البلاغة بالنحو، وهو ما نتج عنه حركة موسوعية في التأليف لكثير من المصنفات ذات الصلة بالدراسة اللسانية .

3. التناول المفهومي في علوم اللسان اللساني العربي:

إن قيمة العلوم، والبحث العلمي بصفة عامة، لا تقاس بالمستوى الكمي فيما يحقق من الإنجازات العلمية عبر العصور، ولكن بقيمة المفاهيم التي تعكس جوهر العلوم في حد ذاتها، لهذا سنتناول هذه المسألة بالتركيز على علوم اللسان العربي ممثلة في علوم اللغة، التفسير، والبلاغة.

1.3 **علوم اللغة**: سنركز عليها من خلال التطرق إلى مجموعة مستويات:

3. 1.1 –المستوى النحوي:

مما لا شك فيه أن النحو العربي لم يظهر على حين غرة من العرب، بل له أسباب كثيرة، منها ماهو أصلي، ومنها ما هو فرعي، وأكثر ما يرد في نشأة هذا العلم يرتبط بنزول القرآن الكريم، وهذا الأمر متواتر عند الأمم السباقة كالهنود والرومان واليونان أين ارتبطت الدراسات من هذا النوع بكتابها المقدس، فكانت النشأة دينية، ثم أصبحت علمية؛ لهذا ومن أجله فقد نشأ النحو لخدمة القرآن وحفظه من اللحن، وأصبح ما يرد من الروايات ما نص عليه الجمهور من أهل الرواية على أن أول ما وضع من النحو كان بإيعازمن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه – إلى أبي الأسود الدؤلي قائلا: " إني سمعت ببلدكم لحنا، فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية، فقلت له : إن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيته بعد أيام، فألقى إليَّ صحيفة فيها : " بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ." ثم قال :" تتبعه وزد فيه ما وقع لك "[6] . وحقيقة هذا التوجيه من الإمام علي-رضي الله عنه- يحيل إلى شيئين مهمين في باب مباشرة الدراسة النحوية وهي تحديده للمفاهيم التأسيسية، ومقابلتها باصطلاحاتها المناسبة لتعد مرتكزا للباحث ليتوسع في هذا المجال، وهذا يدل على وعي منه بمحل البحث، وما يترتب عليه، ولقد كان هذا الحدث مقدمة لقيام علوم لغوية عديدة ظهرت مع القرون الأولى من الحضارة الإسلامية وجعلت من المسلمين أصحاب علم وفير، فالقرآن الكريم كان محرك الدراسات اللغوية، يقول محمود سليمان ياقوت : " نشأ الدرس اللغوي عند العرب في رحاب القرآن الكريم ... ولذلك وجدنا علوما لغوية كثيرة نشأت في رحابه، ومن بين تلك العلوم ما يتصل بمحاولة معرفة معاني ألفاظه، وإعرابه، وقراءاته، وغير ذلك"[7] .

وكانت أهم موضوعات النحو مبثوثة في كتاب سيبويه الذي جمع في جزئه الأول مباحث النحو مع الصرف، لأن علم الصرف يعد جزءا من النحو، وأبرز هذه الموضوعات : الكلمة، والنكرة والمعرفة، الأفعال والأسماء، وأيضا المنصوبات كالمصادر، الجملة، الخ، أما الجزء الثاني فجمع فيه أبواب الصرف إذا استثنينا باب الممنوع من الصرف الذي صدر به الجزء، ومن موضوعاته : النسب والتصغير، جمع التكسير، أوزان المصادر، ...الخ[8] .

وقد يتساءل الدارس عن سر الاهتمام منقطع النظير الذي يلقاه النحو في مجال الدراسة اللسانية، لأنه وببساطة المقابل لما تعارف عليه العلماء باللسانيات والمقصود به ما جاء به العالم السويسري دو سوسير من أفكار ومفاهيم جديدة عدلت زاوية النظرفي مجال الدراسة اللسانية، فالنحو واللسانيات وجهان لعملة واحدة، لما يلتقيان فيه من عوامل : كاشتراكهما في موضوع واحد وهو اللغة ذاتها، الانطلاق من واقع اللغة، دورة التخاطب وظواهرها .

2.1.3 المستوى الصوتي :

لقد انطلقت الدراسات اللغوية العربية بطغيان الجانب النحوي على بقية الجوانب لمتطلبات المرحلة الأولى، وإلى جانبه دراسات في الصرف، والاشتقاق، والأصوات من حيث مخارجها، وصفاتها، وخصائصها في التركيب كالإدغام، والإبدال، الإمالة، كما هو الحال عند سيبويه، والخليل، والكسائي من الرعيل الأول من اللغويين .

ويعد الخليل من أكثر اللغويين عناية بالمستوى الصوتي، حيث وضع مصطلحاته، واعتنى بمفاهيمه حتى غدت هذه العناية ظاهرة أمام الباحثين، وحصيلة دراسات الخليل الصوتية وغيره من اللغويين المتقدمين أينعت ثمارها تقريبا في القرن الرابع الهجري، على يد ابن جني لأنه عالج القضايا الصوتية في العربية على نحو مفصل، واتسمت دراساته بمنهج التخصص، حيث أفرد كتابا في هذا الموضوع وهو " **سرصناعةالإعراب**". ولقد اتبع ابن جني وغيره من اللغويين آنذاك الطريقة السمعية –لغياب وسائل التجربة- المعتمدة على إرهاف السمع، وملاحظة مخارج الحروف وصفاتها، وتوصلوا في تجاربهم اللفظية السمعية إلى نتائج أقرتها الدراسات الصوتية الحديثة[9]؛ كما فرق ابن جني بين الصوت والحرف محددا مخرج الحرف، بما يقترب كثيرا من تحديده في الدراسات الصوتية المحدثة، فالصوت هو النفس، والحرف هو المقطع .

ومن المتأخرين ابن سينا الفيلسوف المشهور الذي يدخل عمله ضمن الدراسة الصوتية، وذلك في رسالته الموسومة ب : " **أسباب حدوث الحروف** "، وجاءت كالآتي : سبب حدوث الصوت، سبب حدوث الحروف، تشريح الحنجرة، واللسان، ...الخ[10].

وكان مما تنبه له اللغويون المتقدمون جعل الحركات الثلاث (الفتحة والضمة والكسرة) أبعاض حروف اللين (الألف والواو والياء)، ويقول ابن جني فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهذا التقسيم موضع إعمال وتوظيف في الدراسات المعاصرة التي جعلت من الحركات صنفين : أحدهما حركات طويلة، والآخر حركات قصيرة، ونتيجة لهذه الطفرة في الاعتناء بالأصوات كان لزاما أن تتعدد الاصطلاحات، وتتنوع المفاهيم لتلافي الغموض والتداخل الذي ينقص أو يذهب بالعلمية التي هي شرط لازم لدراسة اللغة، هذا بالرغم من أن عمل اللسانيين العرب قديما كان وصفيا إلى حد ما قبل مجيء ابن سينا إلا أنه استطاع أن يترك بصمته. ولقيمة هذه البحوث الصوتية

من جوانبها العديدة فقد قال أحد الباحثين الأوربيين : " ولا يزال بعض اللغويين، مستشرقين وغير مستشرقين، يطيلون الكلام عن المفاهيم الصوتية الصرفة : الفيزيائية والفيزيولوجية من دون أن يعتمدوا في ذلك على تجارب منتظمة بل ومن دون أن يكونوا دخلوا قط مخبرا من المخابر الصوتية"[11]، وهذا القول ينم عن القيمة العلمية للدراسات الصوتية التراثية في العصر الحديث بشهادة الغربيين أنفسهم رغم بعدها عن التجارب المخبرية التي تتم في مخابر علم الأصوات، ورغم أن العرب عبروا عن كثير من المفاهيم بطرق وصفية خالصة إلا أن هذا لم ينقص فضلهم على هذا النوع من الدراسات.

3.1.3 المستوى الدلالي :

يتفق جمع من الدارسين حاضرا وماضيا على أن علم الدلالة يعد بؤرة التفكير اللساني الحديث والمركز في تحليل الظاهرة اللغوية ووصف آلية عملها[12]، وتظهر أهمية اللغة في بلوغ المعنى المقصود من الألفاظ سواء كان اللفظ أو الكلام مباشرا أوغيرمباشر، لتحقيق المقصود من عملية التواصل وهي الإفهام، وإلا لكان كل تحليل دون هذا يعد هباء منثورا، إذ الغاية من الغرس قطف الثمر، وإذا لم يكن كذلك عد الجهد معدوما.

يعد الإمام الشافعي أول من وضع الأصول الأولى لعلم أصول الفقه، ومن خلاله تطرق إلى مباحث الدلالة، حيث بين العام والخاص من الألفاظ كما أشار إلى طرق تخصيص الدلالة وتعميمها باعتماد القرائن اللفظية والعقلية، كما ربط تحليله لبنية الخطاب على أساس موقعه من المتلقي، كما خاض في دلائلية العلامة غير اللغوية بالانطلاق من القرآن الكريم، وأشار أيضا إلى مسألة الترادف في اللغة، وكل هذه المفاهيم على اختلاف أبوابها تعد من صلب مباحث علم الدلالة الرئيسة[13].

وتمتد البحوث الدلالية عند العرب من القرن الثالث هجري إلى القرن الخامس هجري، ثم سائر القرون التالية له، وهذا الأمر إنما يعني نضجا أحرزته اللغة العربية وثقافتها[14]، فكان البحث في دلالات الكلمات مما لفت نظر اللغويين العرب، وأثار اهتمامهم، وفي هذا السياق تعد الأعمال اللغوية المبكرة من مباحث علم الدلالة مثل : تسجيل معاني الغريب في القرآن، والحديث عن مجاز القرآن، وإنتاج المعاجم الموضوعية، ومعاجم الألفاظ، وحتى ضبط المصحف بالشكل يعد في حقيقته عملا دلاليا قام على أسس علمية ومنهجية لا تختلف كثيرا عما توصلت إليه نظريات الدلالة الحديثة، كما أن نظرية النظم للجرجاني تعد مثالا حيا على مركزية البحث الدلالي في البحث اللساني العربي[15].

2.3 علوم التفسير :

تعد علوم التفسير من علوم اللسان التي تتعدد فيها المفاهيم، وتتنوع الاصطلاحات، لأنها من علوم القرآن التي تشتغل على النص القرآني، ولغة القرآن هي اللغة العربية محل الدرس اللساني التي

قامت عليها الدراسات اللسانية التراثية، وبلغت فيها الغاية . ومن أبرز المفاهيم التي عول عليا هذا العلم من أجل الوصول للمعنى، السياق، فما مفهومه؟.

1.2.3 السياق : السياق "يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل وقطع بعدم احتمال غير مراد المتكلم، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في ناظره، وغالط في مناظراته"[16].وعرفه الزركشي بقوله : " فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم "[17]

ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ (الدخان/49) فالسياق يرشد إلى أن المقام في الآية يدل على أنه الذليل الحقير، وقوله تعالى :﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (آل عمران/28) أي تجاوزوا الله في دعائكم إلى دعائكم آلهتكم الذين تزعمون أنهم يشهدون لكم يوم القيامة، أي لا تستشهدوا بالله فإنها حجة يركن إليها العاجز عن البينة من الناس.[18]

وإذا نظرنا في تناول المحدثين للسياق نجده يتقابل مع اصطلاحات تؤدي إلى المفهوم نفسه، مثل : الحال، المشاهدة، الدليل، والقرينة، والموقف، وكلها من استخدام البلاغيين أنفسهم، لكن أولمن استخدم هذا المصطلح هو الإمام الشافعي وذلك في كتابه الموسوم بالرسالة تحت : " باب الصنف يبين سياقه معناه " دون التطرق لمفومه، بل راح يسوق له الأمثلة التي تبينه وتوضحه، أما في علم اللغة الحديث فيستعمل هذا اللفظ مقابلا ل **context** ومعناه : " المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء كانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية "[19] فديبوغراند مثلا يفرق بين مصطلحين **context** الذي يشير إلى الدلالات الخارجية، وإنتاج النصوص واستقبالها و **co-text** ، ويتضمن مكونات قواعدية ونحوية ودلالات داخلية وصرف وأصوات، وتأخذ هذه الكلمة حسب أولمان النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة.

فهو يشمل كل ما له علاقة بالكلمة من ظروف وعلامات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن[20]

والذي يدفع بالجنوح إلى قضية السياق قاعدة هامة عند اللغوية يمكن الاصطلاح عليها بما وراء الألفاظ، فالألفاظ متناهية، والمعاني غير متناهية، الأمر الذي أوجب أن يكون هناك دال على المقصود من متعدد المعنى[21]، لهذا ومن أجله فإن المفهوم الذي أشرنا إليه في السياق لا يختلف عن غيره من المفاهيم التي تناولت المصطلح في حقول معرفية أخرى: فالبلاغة تركز على السياق، والمفسرون يحتاجون إلى السياق، والنحويون يعملون مفهوم السياق، والأصوليون يستنتجون كثير من الأحكام

بإعمال السياق، فالمفهوم واحد، والوظيفة متعددة . ورغم أنه مفهوم تراثي إلا أنه بقي معمولا به حتى في اللسانيات الحديثة .

3.3 علوم البـــلاغة :

أما البلاغة : فهي بحر لا تكاد تبلغ ساحله، لأنها علوم متنوعة، واصطلاحات متعددة، ومفاهيم كثيرة متناثرة، نظرا لانقسامها إلى ثلاثة رئيسة هي المعاني والبيان والبديع، سنورد من كل باب مفهوما أو اثنين على سبيل المثال لا الحصر

1.3.3 المعاني: وموضوع هذا العلم اللفظ العربي من حيث إفادته، المعاني الثواني: أي الأغراض التي يساق لها الكلام من جعله مشتملا على تلك الخصوصيات[22]؛ ومن أشهر ما يتناوله : الإسناد، الخبر والإنشاء، الذكر والحذف، التقديم والتأخير، الوصل والفصل، ولنأخذ على سبيل المثال :

1.1.3.3 **الإسناد** : فهذا المصطلح يحيلك على المفهوم الآتي : ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد الحكم بإحداهما على الأخرى ثبوتا أو نفيا[23]. فالمحكوم بها تسمى مسندا، والمحكوم عليها تسمى مسندا إليه، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فارتقب إنهم مرتقبون ﴾ (الجاثية/56) فالفعل وفاعله من الضمير المستتر أنت مسند ومسند إليه، والجملة الاسمية المصدرة بحرف مشبه بالفعل إن والضمير المتصل العائد على الجمع مسند إليه، ومرتقبون خبر إن وهو المسند لأنه المحكوم به، والضمير المتصل هم هو المحكوم عليه، والحكم في هذه الآية من باب الحكم إثباتا لأن الحرف المشبه بالفعل يفيد التوكيد. وهذا الأمر ما يزيد المفهوم جلاء ووضوحا لأنه وجد له محلا للتطبيق، مما يقرب الفهم، فالإسناد من النحو والنحو معين تقدير المعاني، سواء كانت المعاني نحوية، أو معجمية أو سياقية، أو فنية راجعة في الأصل إلى كون المخبر به أو عنه حقيقيا أو مجازيا، وهذا الأمر أصل متقرر عند أهل هذه الصناعة، وهو دال على أصالة المفهوم، المثبت بالاصطلاح الدال عليه ماضيا وحاضر، وإذا تقدمنا قبل العصر الحديث وجدنا لهذا المفهوم حضورا قويا عند المدرسة الوظيفية، ممثلة في أعمال مثيزيوس التي طبقها على اللغة التشيكية و كذلك الإنجليزية، فالمبتدأ (theme) يدل على شيء يعرفه السامع ، والخبر(Rheme) ويدل على حقيقة جديدة تتعلق بالموضوع، فالتقسيم إلى موضوع، وخبر يتطابق مع التقسيم النحوي إلى مبتدأ وخبر (المسند إليه والمسند)، وفائدة هذا التحليل البراغماتي هو تسهيل إدراك البنية العميقة للجملة، وشرح الاختلافات البنيوية بين مختلف اللغات وهذا الطرح موجود أيضا في اللسانيات الأمريكية[24]

2.3.3 **البديع** : علم يعرف به وجوه تحسين الكلام والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة[25] .

ووضوح تحسن الكلام ضربان : ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ، نأخذ من هذه الضربين الحذف .

1.2.3.3 الحذف : باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر،، والصمت من الإفادة أزيد للإفادة، وأجدك أنطق ماتكون إذا لم تنطق، وأتم بيانا إذا لم تبن[26]

والحذف أجازته العربية كغيره من اللغات، ولا يتم ذلك إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة، وحقيقته أن المعنى المفهوم في كل موضع زائد على عناصر اللفظ المذكورة، وإذا كان الحذف على مستوى الجملة يراعي القرائن المعنوية والمقالية، فلا شك أن نحو النص أكثر اعتمادا على ذلك لانه يدخل السياق والمقام من أساسيات الحذف، حيث تكون الجمل المحذوفة أساسا للربط بين أجزاء النص، فالحذف بهذا الوصف مفهوم متعدد الحقول المعرفية، وهو موجود في كافة اللغات، وكل يعمله بالمنهجية المناسبة.[27]

2.2.3.3 التكرار: هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا أو هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع في القول مرتين فصاعدا، وهو على ضربين : واقع في المعنى ويسمى بالتكرار المعنوي، ويطلق عليه في اصطلاح اللسانيات النصية بالترادف أو شبه الترادف، ومن شواهده في البلاغة العربية قول الشاعر :

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء تـــر فل في الدمقس والحرير

فالحرير والدمقس شيء واحد لأنهما مترادفان، وغالبا ما يلجا الشاعر إلي هذا النوع للتأكيد، أو للمبالغة، أو من اجل لفت انتباه المخاطب، وهذه الأغراض كلها يتحكم فيها السياق، والنوع الثاني هو اللفظي و منه قوله تعالى : ﴿ والسابقون السابقون ﴾

(الواقعة / 12) أي إعادة العنصر المعجمي نفسه. ويتوافق مفهوم التكرار كثيرا في التراث مع اللسانيات المعاصرة، والجديد حديثا هو ربطه بالترابط النصي لتحقيق التماسك المعجمي[28]

4. العلاقة بين المصطلحات والمفاهيم :

لقد بادر التراثيون إلى استعمال المصطلحات المعبرة عن المفاهيم المختلفة قبل التنظير لها كعلم قائم بذاته، وهذه الظاهرة مترامية في كافة مستويات اللغة، لكنها لم تقتصر على النحاة وحدهم بل اهتم بها جماعة من الرواة واللغويين والقراء والأصوليين والفلاسفة، والبلاغيين، والمفسرين فيما بعد، وهو الأمر الذي جعل المصطلحات التي تطلق على هذا العلم تتعدد وتتشعب، منها :العربية، وعلم العربية، وعلم النحو، وعلم اللغة وفقهها، وعلم اللسان، وهي مصطلحات تتردد في التراث اللغوي للدلالة على دراسة العربية أو بعض جوانبها دراسة علمية منتظمة، هذا ويجب التنبيه إلى أن مصطلحات العربية، وعلم العربية، والنحو مترادفات، وتعبر كلها عن النشاط اللغوي المرتبط بدراسة اللغة العربية دراسة علمية تقوم على جمع المادة اللغوية واستقرائها وتحليلها من

رؤية وصفية، ثم استغلال النتائج وصياغتها في شكل قواعد[29]. فالمفاهيم والمصطلحات هما جوهر العلوم والأساس المتين، إذ لا يتصور وجود الواحد منهما دون الآخر. فالمصطلحات مفاتيح العلوم، والمفاهيم جوهرها وحقيقتها. والمتأمل في علوم اللسان يدرك هذه الحقيقة من خلال الزخم الكبير من الاصطلاحات والمفاهيم في شتى مجالات علوم اللسان،فهناك من الدارسين من يرى بأن مصطلح النحو يحمل دلالة أوسع من هذه النظرة التي تجعل منه الجانب التعليمي، وأما مصطلح علم اللغة فإنه يستخدم في التراث بمعنى دراسة الألفاظ ومدلولاتها وتصنيفها في معجمات وكتب، أما مصطلح علم اللسان فهو متأخر زمنيا من حيث الاستعمال، ويعد الفارابي أول من استعمله في كتابه إحصاء العلوم حين قال : "وعلم اللسان عندأغلب الأمم ينقسم إلى سبعة أجزاء عظمى"[30]. وهذا المصطلح هو المعبر عن جوهر الدراسة اللسانية من حيث مفاهيمها واصطلاحاتها، ويعد الأنسب في هذا المقام بخلاف المصطلحات السالف ذكرها لأنها خاصة لا عامة، و المصطلحات في أصلها خلاصات معرفية كما يذكر الدارسون، تمثل صورة مصغرة وافية للمفاهيم التي تعبر عنها حيث تنوب الكلمة عن عشرات الكلمات التي من شأنها أن تعرف المفهوم المعرفي المرجو تقديمه[31] .

5. أصالة المفاهيم في التراث اللساني العربي من رواسب التأثير الأجنبي :

يذهب جمع من الدارسين إلى أنه ليس هناك احتمال للتأثير الأجنبي، فما أسس من قبل ينم عن جهدعربي أصيل يجمع بين العمق في التحليل، والبراعة في الاستدلال، وفي هذا الشأن يقول عبد السلام المسدي تأكيدا على أصالة هذا الفكر في مجال البحث اللساني وخصوصيته، وأنه قائم بذاته: **" فمن هذه المنطلقات وعلى تلك المستندات يمكن أن نقرر- مصادرة و إجمالا – أن التفكير العربي قد أفرز نظرية شمولية في الظاهرة اللغوية "**[32].

1.5 في مجال النحو :

يذهب كثير من الباحثين إلى القول بتأثير يوناني في فترة متأخرة من فترات النحو العربي سواء كان مباشرا أوغير مباشر، ومن أشد القائلين بهذا الدكتور بيومي الذي نشر بحثا بعنوان منطق أرسطو والنحوالعربي، ذهب فيه إلى تأثر النحو العربي من الجانبين المنهجي والموضوعي[33]، غير أن هناك ما يدحض هذا القول من مفكر عربي آخر وهو تمام حسان الذي رد هذا القول في كتابه الأصول بقوله : " إن اعتماد الثقافة العربية في أول أمرها على النصوص ما كان ليحرمها نعمة التفكير المنطقي الذي يتطلبه الاجتهاد، ولكن هذا المنطق الطبيعي لم يكن منطق أرسطو، وإنما كان نتاج تكوين العقل الإنساني الذي منحه الله للعرب واليونان وسائر الأمم "[34] .

2.5 في مجال الأصوات :

يذكر الدارسون أن هناك مجرد احتمال بوجود تأثير هندي على الخليل لا يتجاوز الترتيب الصوتي للحروف الهجائية مع البدء بأعمقها مخرجا،ولا يصح أن يقال هناك تأثير صوتي عام على اللغويين العربي للأسباب الآتية :

- أن الترتيب الصوتي عند الخليل وغيره من اللغويين العرب مخالف لترتيب الهنود من عدة أوجه : فقد ضمت الألفباء الهندية واحدا وخمسين حرفا منطلقة من العلل، في حين بدأ الخليل بالسواكن، واشتملت على رموز للعلل القصيرة (لا توجد في العربية)، وعلى رموز بسيطة ومركبة للعلل (لا رموز للمركبة في العربية) .

- أن دراسة الهنود للأصوات قد تميزت بوضع مقاييس محددة لأصوات اللين، ودور الأوتار، كما تميزت بدراسة المقطع، ولا نجد لهذا نظيرا عند اللغويين العرب .

- أن الهنود كانوا ينظرون إلى الدراسة الصوتية على أنها فرع مستقل من فروع علم اللغة، في حين كان العرب يرون فيها دراسة تابعة .

3.5 في مجال المعاجم :

يذهب كثير من الدارسين إلى انتفاء التأثير الهندي على المعاجم العربية وفي هذا يقول هاي وود(Haywood) " ومن العدل أن نقول إن فترة النشاط المعجمي الكبير في الهند كانت في القرن الثاني عشر وهو وقت كان العرب قد أنتجوا بعضا من معاجمهم العظيمة " ، ويقول وابر(Weber): " إن المعاجم السنسكريتية لم تظهر إلا في وقت متأخر "، ثم يضيف هاي وود: " الحقيقة أن العرب في مجال المعاجم يحتلون المركز سواء في الزمان أو المكان بالنسبة للعالم القديم والحديث، وبالنسبة للشرق والغرب "[35].

وهذا يدل على قيمة الفكر اللساني العربي من جهة، وعلى أصالة المنتج وجودته، وكذلك أسبقيته في مجال الدرس اللساني.

6. خاتمة : من خلال هذا الطرح نخلص إلى النتائج الآتية :

- أن اللسانيات التراثية العربية استطاعت أن تجسد البعد المفاهيمي إلى حد بعيد في مباحثها المعرفية، وذلك ما ظهر في كثير من الدراسات.

-أن اللسانيات التراثية لم تحقق مفاهيما مستقلة، بل تجاوزت ذلك إلى تحقيق مفاهيم علائقية، بحيث أن المفهوم الواحد يمكن أن يحيلك إلى مفاهيم أخرى في حقول أخرى، وهذا ما يدل على تكامل البحث اللساني.

-لقد استطاعت اللسانيات التراثية أن تحقق المواءمة العلمية بين الجانب المفاهيمي، والجانب الاصطلاحي بكثير من التوازن.

-أن المفاهيم والاصطلاحات يعبران عن أصالة البحث اللساني التراثي.

- أن الأصالة المنوطة بالتراث يجب أن لا يفهم منها الأسبقية أو الخصوصية، بل يجب أن يفهم منها المنهجية الإبداعية في التعاطي مع اللغة ودراستها التي تميز بها اللسانيون العرب عن غيرهم .

الهوامش:

[1] وسطاني يوسف، 2016، اللسانيات العربية في ضوء التراث ومقتضيات التطبيق المنهجي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، تامنغست، المجلد5، العدد 01، ص ص 273-275 .

[2] المرجع نفسه، ص274.

[3] ابن خلدون عبد الرحمن، 2004، مقدمة ابن خلدون، تحق : عبد الله الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط01، ج02 ، ص 367.

[4] المرجع نفسه، ص 367 .

[5] وسطاني يوسف، المرجع السابق، ص 277 .

[6] القفطي جمال الدين، 1986، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالفكر العربي، القاهرة، ط01، ج01، ص39.

[7] ياقوت محمود سليمان، 2003، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، الكويت، د.ط، ص 59 .

[8] عمر أحمد مختار، 1988، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتاب، القاهرة، ط06، ص ص 123-124 .

[9] زوين علي، 1986، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط01، ص ص 59-64 .

[10] عمر أحمد مختار، المرجع السابق، ص 102-103 .

[11] حاج صالح عبد الرحمن، 1971، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد01، العدد01، ص09.

[12] زرال صلاح الدين، 2008، الظاهرة الدلالية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، ص55 .

[13] عبد الجليل منقور، 2001، علم الدلالة : أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط،ص ص 109-117 .

[14] الداية فايز، 1996، علم الدلالة عند العرب بين النظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، ط02، ص 06 .

[15] زرال صلاح الدين، المرجع السابق، ص 405 .

[16] محمد أبوعبد الله بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، د.ت، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، ج04، ص 09 .

[17] محمد بدر الدين بن عبد الله الزركشي،1984 ، البرهان في علوم القرآن ، تحق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث القاهرة، ط03 ، ج02، ص 200 .

[18] ينظر المرجع نفسه، ج02، ص200-201.

[19] ابن ضيف الله الطلحي ردة الله، 1424، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة، ط1، ص51 .

[20] ينظر المرجع نفسه، ص52 .

[21] المرجع نفسه، ص 62 .

[22] الكاف أبو بكر عمر بن علوي، 2008، البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، دارالمنهاج،بيروت، ط03، ص 23.

[23] المرجع السابق، ص 26 .

[24] ينظر مومن أحمد، 2015، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط05، ص 139-140 .

[25] الكاف بن أبي بكر عمر بن علوي، مرجع سابق، ص 371 .

[26] الجرجاني عبد القاهر أبو بكر ، 2004، دلائل الإعجاز، تحق : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط04، ص 178 .

[27] عفيفي أحمد، 2001، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص 124 .

[28] عبد المجيد جميل، 1998، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، ص 84-85 .

[29] معزوز عبد الحليم، 2017، تأصيل اللسانيات عند تمام حسان وعبد الرحمن حاج صالح، قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة1، ص 19 .

[30] الفارابي أبو نصر، 1996 ، إحصاء العلوم، تحق :علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط01، ص 09 .

[31] وغليسي يوسف، 2008، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، ص 69 .

[32] المسدي عبد السلام، 1986، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط02، ص 24 .

[33] مختار أحمد عمر، المرجع السابق، ص 351 .

[34] حسان تمام، 2000، الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتاب، القاهرة، د.ط، ص 49 .

[35] مختار أحمد عمر، المرجع السابق، ص343-344 .